الفصل السادس عشر

كرة القدم لعبته من دون منازع

حوار مع فرانشيسكو فيرارو «بانشو»

ترى فيه عبقرية المدرِّب، وتسمع صوته اللطيف، وهو يُعرَف في عالَم كرة القدم باسم بانشو، وله في هذا العالَم مسيرة وباع طويل يُحسَد عليهما؛ فقد أمضى حياته الكروية متنقّلًا ما بين المنتخبات الوطنية للشباب، والأندية في أمريكا الجنوبية وأوروبا على حدّ سواء. لكنّ بعضًا من أفضل الذكريات التي تحفل بها ذاكرته، تتأتّى من الأيام التي عاشها في شهر حزيران من عام 2005م، حين قاد المنتخب الأرجنتيني للشباب دون سنّ العشرين للقب الخامس في البطولة.

«صحيح. أنا فخور بذلك الانتصار؛ سواء أكان ذلك بصورة شخصية، أم بوصفي جزءًا من الفريق. أنا فخور بما أنجزه الفتية، وباللاعبينَ من أمثال ميسي وأغويرو وغاغو، الذين صنعوا لأنفسهم مكانة وشهرة على مستوى العالَم».

هل تذكر أول مرّة رأيت فيها ميسي؟

«نعم، كان ذلك خلال تصفيات أمريكا الجنوبية في شهر كانون الثاني من عام 2005م. لقد كنت محظوظًا لقضائي أربعين يومًا مع الفريق. كان خوزيه بكرمان قد

طلب إليَّ تدريب فريق الشباب دون سنّ العشرين، وأراد منّي هوغو (مدرِّب الفريق توكاللي) أن أكون هناك إلى جانبه في كولومبيا لمتابعة سير الأمور».

كيف كان انطباعك الأول عنه؟

«إنّه فتى لطيف مهذّب خجول، كان أصغر أفراد الفريق سنًّا، وحين قَدِمَ من أوروبا لم يستطع التكيُّف تمامًا مع المجموعة، ولم يكن لديه طاقة وقدرة (جسدية) للعب مباراة كاملة. لذا، بعد مناقشة الأمر مع هوغو، كنّا دائمًا نشركه في الشوط الثاني، حيث يمكنه صنع الفارق».

لم تشركه أيضًا في المباراة الأولى بهولندا أمام منتخب الولايات المتحدة....

«لقد كان يعاني إصابةً خفيفة. لذا، أبقيته على مقاعد البدلاء، لكنّه لعب ضمن التشكيلة الأساسية - من دون منازع- منذ المباراة الثانية أمام منتخب مصر. فقد تطوّر أداؤه (بدنيًّا، ونفسيًّا) بصورة ملحوظة بعد عودته من برشلونة. وكان قد لعب للمرّة الأولى مع الفريق الأول هناك، وقد بدا أكثر قوّة وقدرة على خوض المباريات الفاصلة. لعب في خط الوسط، ولكن ليس كصانع ألعاب؛ فخطورته تكمن في أثناء وجوده بمنتصف ملعب الخصم، وقد تظهر في أيّ لحظة. لقد صنع حضوره في الفريق فرقًا كبيرًا».

وكيف كان تعامله مع بقية أفراد الفريق؟

«لقد كان سعيدًا، ويصبح أكثر سعادة عندما يدخل الملعب، ويستحوذ على الكرة. كان يشارك أغويرو الغرفة نفسها، ولم يتسبَّب في إزعاجه قطّ. على العكس تمامًا؛ فقد لاحظ الجميع أنّهما كانا سعيديْنِ ومتوافقيْنِ. كانا يراعيان زملاءهما والقائمينَ على الفريق، ويحترمان الجميع. لقد زيَّنا الفريق بالرزانة،

ولـم يحاولا لفت الانتبـاه؛ إذ كانا متواضعيْنِ جدًّا. وفي واقـع الأمر، فقد تميّزا باحترام الآخرين، وحسن التعامل مع الجميع. علمًا بأنّ أفراد الفريق كافة كانوا أشخاصًا طيّبين».

قلْتَ: إنّ ميسي كان دائمًا يشعر بالسعادة لحظة دخوله الملعب وحيازته الكرة. في رأيك، ما تفسير ذلك؟

«هـذا صحيح، أؤكّد لـك أنّ ليو يحبّ اللعب كثيرًا، وكـرة القدم هي لعبته (دميتـه) المفضلـة. إنّـه يستمتع بهـا كثيرًا، ويستطيـع التحكّم فيهـا بطريقة لا مثيـل لهـا. ما يفعله فـي أرض الملعب أمر غيـر مألوف؛ إذ يخيَّـل للرائي أنّ الكـرة ملتصقة بقدمه، فتراه يشـق طريقه بها مسرِعًا نحو الأمام، ملاحِظًا كلّ مـا يجري حوله. فهو يقرأ اللعبـة، ويتوقّع أحداثها ومجرياتها. ذلك أمر صعب، فقط اللاعبون العظماء قادرون على عمل ذلك».

هل تَعُدّ مارادونا مثلًا أحد هؤلاء العظماء؟

«يمثِّـل دييغـو ظاهـرة لن تتكـرّر. صحيـح أنّ الجميع يقارن بيـن الاثنين (مارادونـا وميسـي) منذ مدّة، خاصة بعـد الهدف الذي سجّلـه ليو في مرمى خيتافـي. كلّ ما أستطيع قوله: إنّ كلًّا منهمـا يمتلك موهبة عظيمة. لكنّ ميسي ليس في حاجة إلى أن يقارَن بأيّ أحد؛ فهو لاعب فريد عبقري عظيم قادر على إحداث المفاجأة في أيّ مباراة، وهذا ما جعل الجماهير مغرَمة به».

مـاذا كان يعنـي كأس العالَـم للشـباب دون سـنّ العشـرين بالنسـبة إلى ميسي؟

«لقـد كانت هـذه البطولة الشرارةَ التي فجّرت قدراتـه ومواهبه ومهاراته بوصفـه لاعبًـا؛ إذ كانت فرصته لكي يصبـح معروفًا في مختلـف أنحاء العالَم

تقريبًا، خاصة أنّ الكثيرين في الأرجنتين لم يعرفوا عن مهاراته شيئًا قبل بطولة كأس العالَم في هولندا. لقد عاد من هناك نجمًا محبوبًا؛ ففوزه بجائزة أفضل لاعب، وإحرازه لقب الهدّاف، وحسمه المباراة النهائية بهدفين، كلّ ذلك جعل منه نجمًا، ولاعبًا محترِفًا طالما انتظرته أمّة بأكملها».

تلك الأمّة كانت أيضًا تنتظر أن يشارك فريقه اللعب أمام ألمانيا في بطولة كأس العالَم عام 2006م، لكنّه بقي على مقاعد البدلاء. لقد اصطحبْتَ في هذه البطولة الفتيةَ الذين تدربوا مع الفريق، وعهدتك تعرف خوزيه بكرمان منذ زمن طويل، فما الذي حدث في تلك المباراة؟

«كنّا قد استنفدنا فرص التبديل بسبب إصابة باتو (لقب حارس المرمى في ذلك الحين روبرتو أبودنزيري)، عندئذٍ، قرّر بكرمان اللعب بأسلوب مختلف؛ ما يعني الاستعانة بلاعب مختلف، والقيام بخطط (تكتيكات) مختلفة. لكن، ليس لدي أدنى شكّ في أنّ بكرمان هو من أفضل مدرِّبي فرق الشباب. لم يكن هناك أحد غيره قادر على مساعدة فتى في الثامنة عشرة، مثل ميسي، ليظهِر أفضل ما لديه».

لندع الجدل جانبًا، ولنتحدث عن أداء ميسي بعد بطولة كأس العالَم.

«أعتقد أنّه يطوّر مهاراته باستمرار، وهو تطوّر لا يعرف الحدود. لكنّه - في الوقت نفسه- يحافظ على أسلوبه في اللعب، محاولًا عدم لفت الانتباه. لا يحبّ هذا الفتى أن يقوِّمه أحد، فهو لا يفعل شيئًا من دون سبب، ويحبّ أن يلعب بسلام. ويحرص على البقاء قرب أحبّائه؛ أبويه وشقيقيه وشقيقته، الذين يعملون على حمايته ودعمه، تمامًا كما فعلوا بهولندا في أثناء بطولة كأس العالَم».